

تفسير ابن كثير

* يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ
وَالْأَقْرَبِينَ ^ج إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا ^ط فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَنْ تَعْدِلُوا ^ج وَإِنْ تَلُوتُوا أَوْ
تُعْرَضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا

يأمر تعالى عباده المؤمنين أن يكونوا قوامين بالقسط ، أي بالعدل ، فلا يعدلوا عنه يمينا
ولا شمالا ولا تأخذهم في الله لومة لائم ، ولا يصرفهم عنه صارف ، وأن يكونوا
متعاونين متساعدين متعاضدين متناصرين فيه . وقوله : (شهداء الله) كما قال (وأقيموا
الشهادة الله) أي : ليكن أدائها ابتغاء وجه الله ، فحينئذ تكون صحيحة عادلة حقا ،
خالية من التحريف والتبديل والكتمان ؛ ولهذا قال : (ولو على أنفسكم) أي : اشهد الحق
ولو عاد ضررها عليك وإذا سئلت عن الأمر فقل الحق فيه ، وإن كان مضرة عليك ، فإن
الله سيجعل لمن أطاعه فرجا ومخرجا من كل أمر يضيق عليه . وقوله : (أو الوالدين
والأقربين) أي : وإن كانت الشهادة على والديك وقربتك ، فلا تراهم فيها ، بل اشهد
بالحق وإن عاد ضررها عليهم ، فإن الحق حاكم على كل أحد ، وهو مقدم على كل أحد

وقوله : (إن يكن غنيا أو فقيرا فالله أولى بهما) أي : لا ترعاه لغناه ، ولا تشفق عليه

لفقره ، الله يتولاهما ، بل هو أولى بهما منك ، وأعلم بما فيه صلاحهما . وقوله (فلا تتبعوا

الهوى أن تعدلوا) أي : فلا يحملنكم الهوى والعصية وبغضة الناس إليكم ، على ترك

العدل في أموركم وشؤونكم ، بل الزموا العدل على أي حال كان ، كما قال تعالى : (

ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى) [المائدة : 8] ومن هذا

القبيل قول عبد الله بن رواحة ، لما بعثه النبي صلى الله عليه وسلم يخرص على أهل

خير ثمارهم وزرعهم ، فأرادوا أن يرشوه ليرفق بهم ، فقال : والله لقد جئكم من عند

أحب الخلق إلي ، ولأنتم أبغض إلي من أعدادكم من القردة والخنازير ، وما يحملني

حيي إياه وبغضي لكم على ألا أعدل فيكم . فقالوا : " بهذا قامت السماوات والأرض " .

وسأتي الحديث مسندا في سورة المائدة ، إن شاء الله [تعالى] . وقوله : (وإن تلوا أو

تعرضوا) قال مجاهد وغير واحد من السلف : (تلوا) أي : تحرفوا الشهادة وتغيروها ، "

واللي " هو : التحريف وتعمد الكذب ، قال الله تعالى : (وإن منهم لفريقا يلوون ألسنتهم

بالكتاب [لتحسبوه من الكتاب وما هو من الكتاب ويقولون هو من عند الله وما هو من

عند الله ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون [] ([آل عمران : 78] . و " الإعراض "

هو : كتمان الشهادة وتركها ، قال الله تعالى : (ومن يكتمها فإنه آثم قلبه) [البقرة :

283] وقال النبي صلى الله عليه وسلم : " خير الشهداء الذي يأتي بشهادته قبل أن يسألها

" . ولهذا توعدهم الله بقوله : (فإن الله كان بما تعملون خبيرا) أي : وسيجازيكم بذلك

.